1184



رسالة ملكية للمؤتمر السادس عشر للقانون الفرنسي التعبير

الرباط ــ ترأس صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد اشغال المؤتمر السادس عشر للمعهد الدولي للقانون الفرنسي التعبير، وقد وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رسالةً للمؤتمر الذي يشارك فيه ازيد من مئة مشارك يمثلون ثلاثين بلداً من افريقيا واوربا وآسيا وامريكا قرأها صاحب السمو الملكي ولي العهد.

وفيما يلي نصها :

أصحاب المعالي الوزراء

أصحاب السعادة السفراء

سيداتي سادتي

يطيب لنا ان نرحب بكم وأن نعرب عن عظيم ابتهاجنا لانعقاد هذا المؤتمر ببلدنا.

ونوجه تحيتنا لجميع الأمم التي تنتسبون لها والتي تربطها بالمغرب اواصر المودة المتينة، تحدونا الرغبة المشتركة في العمل لما فيه خير الانسانية، ونرجوكم ان تنوبوا عنا في ابلاغ دولكم شكرنا لهم على ايفادهم حضراتكم لتمثيل بلدانكم، ونرجو منكم إن تبلغوهم متمنياتنا بالسلام والهناء والازدهار.

ان المظهر العلمي الجاد الذي يطبع أشغالكم والذي يدور حول الموضوع الذي اخترناه لكم، يحمل بين ثناياه رغبة الانسانية في حياة السلم والطمأنينة.

قد يكون بعضكم فوجيء بأن اعطي لمداولتكم اتجاه يبدو انه يكتسي بصفة خاصة مظهراً دينياً، وما من شك في ان الكتب المقدسة للأديان السماوية الثلاثة ستغني عملكم لمواجهة المستقبل.

ونأمل ان يساعد استلهامكم من تلكم المثل والتعاليم في انجاح اعمالكم، ففيها ستجدون ولا شك مخرجاً للعالم من الأزمة التي يسعى للخروج منها.

ان العالم تمزقه الخلافات، وشعوبه واممه تتلاطم فيها امواج من تيارات وقوى متنافرة، في هذا العالم الذي يوجد على هاته الحال تعملون في نطاقكم المحدود على ايجاد حل لمشكلات القانون المطبق بكل بلد من بلدانكم، تلك المشكلات التي ليست سوى انعكاس للمشاكل التي يعرفها العالم في غير ما مجال، ويخيل اليَّ ان المجتمع الحالي يعيش في رغد بفعل المكاسب العلمية السريعة الى حد يعسر معه مواكبتها في المسار، لكنه في الحقيقة اسير تيارات غير سليمة تكاد تعصف بوجوده، فالرعب النووي يهدد الأمم بشر مستطير، وانحلال الأخلاق يطغى في كثير من الجهات فيعرض للأخطار كثيراً من بني الانسان الذين يطمحون الى العيش في وسط يطيب العيش فيه لكل انسان.

ان الاسلام ــ ايها السادة ــ يرفض اي غزو مادي واي تأثير مذهبي يدفعان بالمجتمع الى احضان التفكك والانهيار، وبلدنا مصمم على تجنب هذه المسالك الخطيرة، بل جعل نفسه في طليعة العاملين على صون القيم المثلى التي جاء بها القرآن الكريم، ووضع في عمله هذا كثيراً من الآمال على رجال الرأي الحكيم، وذوي النيات الحسنة، على اختلاف مللهم واتجاهاتهم الفلسفية.



وبدون مبالغة في التشاؤم، لا نملك الا ان نلاحظ ان المجتمع الانساني اينما توجهنا بين أطرافه، يسير في طريق يظهر انها تؤدي الى تقليص المثل الانسانية العليا.

ان انحلال الحياة العائلية، وتحلل الشباب من حميد الأخلاق، و مغريات الشهوات الرخيصة، وتدهور الروح النبيلة اصبحت في الحقيقة آفات شائعة في العالم الحاضر، وهناك من يحاول ايجاد التفسيرات باللامبررات لتلك الأوضاع المتردية، متدرعين بالعلل الاقتصادية، ومنها البطالة المستفحلة في كل مكان والتي يعزون لها ضياع الشباب في متاهات الحيرة والاضطراب وربما اليأس، ويتجلى الانحلال الخلقي والسلوك الشاذ اللذان يهيمنان للأسف على كوكبنا في الميدان الجنائي، حيث ان الجرائم تتزايد من غير ان نتمكن من التصدي لها كما يجب، عدالة عريقة في مواجهة تلك الكثرة المخيفة. ان الرعب الذي استولى على الأمم مصحوب برعب يمس كل فرد عادي ينظر الى امنه المهدد وحياته وممتلكاته المحفوفة بالمخاطر.

كل هاته الملاحظات مع العلاجات المتفاوتة في قيمة تجربتها يبدو لنا انها تتناسى ابسط قواعد الأخلاق الحسنة الحق.

بيد ان التعاليم الواردة في الكتب السماوية للأديان الثلاثة المنزلة بينت للانسان قواعد للحياة وضعها الله عز وجل في توراة العبريين، وانجيل المسيحيين، وقرآننا الحنيف والقواعد التي علمها للانسان هي اساس الاخاء والمحبة بين الناس.

فماذا صنعنا بهذه الأخلاق؟ ان المجتمع الانساني حين تنكر للمقدسات الخلقية التجأ الى اخلاق مزعومة بالأخلاق الطبيعية العالمية وهي خلو الأوامر، ولا زجر في تعاليمها.

وفي بعض البلدان تأثرت تلك «الأخلاق الطبيعية» منذ نهاية القرن السابع عشر، وفي القرن الثامن عشر بما يسمى بالفلسفة الانسانية التي عرضت الانسان، بدعوى تحريره من بعض القيود الجائرة الى هيمنة شر غرائزه. وتبع ذلك الانسلاخ شيوع الانحلال الخلقي وانهيار القيم الانسانية المثلى وتعدى تفسخ الأفراد مجاله المحدود الى ان امتد الى العلاقات بين الأمم نفسها.

ومن تردي إلى تردي بلغ العالم وضعه الحاضر، ولذا وأمام عجز جميع النظريات والتجارب المذهبية أو العلمية المزعومة على ايجاد الحل المناسب، وامام استعفاء قوى الخير وتقهقرها امام زحف قوى الشر التي لو انتصرت — لا قدر الله — لعم الخراب والدمار، لذا ارتأينا انه بامكاننا كل في محيطه الروحي، ان نغترف من المناهل ونتقصى من تعاليم كتبنا المقدسة الحلول الكفيلة بوقف ذلكم الزحف عند حده، هذا اذا تدارسنا تلك التعاليم بنية حسنة وتوخينا منها بعزيمة صادقة السلامة والخلاص والخروج من النفق.

وان التعاليم الواردة في الكتب المقدسة تعطي الخلية العائلية في الحين الحل الأنسب فيما يعود لمشكل التشتت والانحلال الأسروي، فهي تضفي على الأسرة، وهي اهم خلية مجتمعية، صفات الانسجام والوحدة والانصهار، صفات اذا رعيناها كنا اقرب الى الحل الناجع.

والمحرمات التي اعلنتها الكتب المقدسة تعد بحق جوابا قاطعا على الانحلال الخلقي، فبالتحريم اشعر الانسان بواجب الاحترام لجسده، وفي ذلك وسيلة لمحاربة المخدرات اكثر من اي تشريع جنائي ومن اية تدابير وقائية، واحترام ملك الغير، وتجنب العنف، كلاهما مرسوم في الشريعة الالهية مما يجعل الانسان المؤمن بها يحجم عن الحاق الضرر بغيره، كما انه يحمي نفسه من التعرض للأذى.



واذ نحن تخطينا طور الحياة الفردية وسمونا بأنفسنا الى مستوى المجتمع والمؤسسات التي يقوم بها، نلاحظ ان الاتجاهات الحالية التي تدعو الانسان الى تحدي اية سلطة من شأنها ان تربك المناخ الاجتماعي وتحدث البلبلة في العلاقات بين المواطنين وتولد جراثيم الفوضى، وبالجملة تخلق جواً لا يستفيد منه الا المخربون في اي مكان على حساب السواد الأعظم من الناس الهادئين الذين يريدون العيش في سلام تحت رعاية المؤسسات التي اختاروها لهم بكل حرية.

ان الرجوع الى تعاليم الكتب المقدسة الثلاثة يعيدنا الى مفاهيم سليمة تحقق التوازن بين حقوق الدولة وواجباتها وحقوق المواطنين وواجباتهم، حتى يلتزم كل واحد المكان الذي وضعه فيه الأمر الالهي ويتأهل لعمل الخير لغيره.

وماذا عسانا ان نقول عن المضاعفات الاقتصادية للتقدم المزعوم لمجتمع الانتاج والاستهلاك؟ فبينما تعلمنا تعاليم السماء ان يرحم الغني الفقير ويحمي القوي الضعيف، نشاهد معركة ضارية وقد نشأت عن تطور نتج عنه سحق الجماهير لفائدة حفنة من المحظوظين، وكثيرا ما تكون الدولة نفسها عاجزة عن حماية الذين يتألمون من هذه الوضعية، هل نشير هنا الى التنافس بين الأمم والمفارقات الفادحة بين البلدان الغنية والبلدان الفقيرة، وكل ذلك يعكس في نطاق العالم حالة اللامساواة بين الناس في توزيع الخيرات، في حين ان الناس خلقوا متساوين في الحقوق متساوين في الواجبات.

كل هاته المخالفات للأوامر التي جاءت من عند الله خالق العالم ومبدع الأكوان نرجو انكم تستشعرونها مثلنا، وفي خصوص موضوع مؤتمركم نأمل ان تهب في ارضنا الاسلامية ريح مباركة يكون لها اطيب الوقع وتساعد على حل المشكلات القانونية التي انتم بصدد تدارسها.

فالى جانب التحلل الملاحظ في بعض اطراف المعمور التي ضيعت الالهام الالهي وتعاليم السماء وتجاهلتها نفتخر بكون الاسلام ظل حصناً في وجه الزوابع، كما ظلت تعاليمه عبر القرون نبراسا يهدي المؤمنين وينير سبيلهم.

واذا كنا نعترف بأن المجتمع الاسلامي نفسه يضيع احيانا معنى التعاليم المثلى بتأثير التيارات الواردة من آفاق غير آفاقه، فاننا نبذل جهدنا لاصلاح هذه الانحرافات في سلوك معاصرينا.

اننا ندعو لكم بالتوفيق في اعمالكم ونسأل الله ان يبارك لكم في مهامكم النبيلة، والسلام.

الاثنين 15 صفر 1404 — 21 نونبر 1983